# المؤتمر الدولى الخامس للبحث المتقدم في العلوم الاجتماعية

## (٢٦- ٢٨ أغسطس، ٢٠٢٢- جامعة كامبريدج. المملكة المتحدة) *

**محمد عبد المنعم شلبى****

## مقدمة

انعقد المؤتمر فى إحدى قاعات المؤتمرات (Paula Browne House Conference Room) بكلية موراى إدوارد Murray Edwards بجامعة كامبريدج العريقة University of Cambridge. وهى الجامعة التى تأسست فى عام ١٢٠٩، كجامعة بحثية حكومية تقع فى مدينة كامبريدج بإنجلترا فى المملكة المتحدة. وهى ثانى أقدم جامعة فى الدول الناطقة باللغة الإنجليزية، وتصنف ضمن أفضل الجامعات فى العالم.

وتتكون الجامعة من ٣١ كلية وأكثر من ١٥٠ قسما ومدرسة، تغطى كل التخصصات العلمية الحديثة، من أهمها الفنون والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العلوم البيولوجية، الطب السريري والعلوم الفيزيائية، والتكنولوجيا.

وعلى مدار ثلاثة أيام عقدت جلسات المؤتمر، ما بين مباشرة وعبر تطبيق الزووم، وجاءت الأوراق البحثية متنوعة، سواء من حيث مجالات العلوم الاجتماعية التى تنتمى إليها، أو جنسيات مقدميها من الباحثين، والذين شكلوا – فى هذا الصدد– ما يشبه تجمعاً للأمم المتحدة، فإجمالاً هم ينتمون إلى ثمان وعشرين دولة، تتوزع على أربع قارات، آسيا (١٥ دولة)، أوروبا (٧ دول)، إفريقيا (٤ دول)، أمريكا الشمالية (دولتان).

وعلى الرغم من أن اللجنة المنظمة للمؤتمر لم تفرض على مقدمى الأوراق البحثية التزامًا بشأن الموضوعات، سوى مراعاة المحاور العامة المقترحة، إلا أن غالبية الموضوعات التى تم التعاطى معها جاءت فى اتصال ما مع تيمه Theme المجتمع الرقمى.

---

* أستاذ علم الاجتماع المساعد. المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

** 5th International Conference on Advanced Research in Social Sciences. August 26-28, 2022. Cambridge. United Kingdom

ثم تأتى الموضوعات المتعلقة بالمرأة، خاصة العنف ضد المرأة، كموضوعات لا يكاد يخلو منها مؤتمر فى العلوم الاجتماعية خلال العقود القليلة الماضية.

وأخيرًا، هناك الأوراق البحثية ذات الطابع التنظيرى، فى استناد إلى واقع اجتماعى متغير.

وقد جاء عرض الأوراق البحثية عبر المحاضرات والندوات وورش العمل والموائد المستديرة. وفيما يلى استعراض لأهم ما حفل به هذا المؤتمر من موضوعات:

- هناك الموضوعات البحثية المرتبطة بشكل مباشر بالمجتمع الرقمى، والتى تنوعت مجالاتها ما بين علم النفس وعلم الاجتماع والعلوم التربوية وعلوم الإعلام. ولعل من أبرزها ما ركز على طرح **مقاربة بينية جديدة لفهم التفاعل البشرى الرقمى البين–ذاتى**، حيث تبحث الورقة فى الكيفية التى دعمت بها التقنيات الرقمية قدراتنا السيكو– فيزيقية، وكيف أعادت تلك التقنيات تشكيل طبيعتنا البشرية بشكل كامل.

وتنطوى المقاربة البينية –التى تتبناها الورقة– على أدوات ذات انتماءات متعددة؛ فلسفية، وسيكولوجية، وعصبية وذلك من أجل تكوين صورة موسعة للعمليات التى تصوغ الاتجاهات الذاتية والهوياتية المعاصرة، وتجيب على التساؤلات المطروحة فى هذا الصدد، والتى من أهمها: إلى أى مدى يكون بإمكان التقنيات الرقمية تشكيل وقيادة قراراتنا، ورغباتنا، وشخصياتنا؟ هل نفكر فى التقنيات الرقمية كأدوات خارجية منفصلة عن ذواتنا، أم كعناصر متكاملة مع تلك الذوات والذهنيات؟ إلى أى مدى تعد التقنيات الرقمية أدوات للنمو النفسى والاجتماعى المتوازن، وكذا لتطوير إمكاناتنا الكامنة؟

الفرضية المطروحة: إن التفاعل البشرى الرقمى يذهب إلى ما وراء الفئات المرتبطة بالعلاقات الطبيعية التى وضعها الفكر الفلسفى الغربى فى الماضى. وإنه من الممكن إدراك كيف تقوم التقنيات الرقمية بتعديل وتكييف الموصلات العصبية عبر تطوير مناطق محددة فى المخ البشرى؛ فكما نستخدم التقنية الرقمية ونتفاعل معها، تتغير ذهنياتنا " طرق التفكير" وأمخاخنا، على المستوى الفيزيقى، بالفعل.

ومن ثم، فإن تشكيل شخصياتنا المعاصرة يحدث من خلال عمليات وتفاعلات رقمية، تلك التى تؤثر فى إعادة صياغة ذواتنا، بحيث تتجه صوب تبنى الخطط المرسومة المتبناة، وبالتالى تصير موجهة تقنياً!

- فى تنويعه من خلال المحور ذاته، هناك من ركز على درس **الدور الذى تلعبه صحافة المواطن فى بزوغ الإدراك العام فى المجتمع**، حيث أتاحت التقنيات الحديثة – فى السنوات القليلة الماضية – الفرصة للناس العاديين Ordinary people منصات رقمية متعددة من أجل تقديم القصص الخبرية، والمعلومات والموضوعات التى تهم العامة.

هذا المنظور التحويلى الذى أتاح مزيداً من الفرص للإنسان العادى للمشاركة مع آخرين فى عديد من القضايا والمشكلات ومناقشة الأمور المتعلقة بحياته اليومية، وذلك عبر صحافة المواطن والتى عملت على زيادة الإدراك العام ورفع أصوات المواطنين من أجل المشاركة بالرأى فى الشأن العام.

- وفى السياق ذاته، يهتم بعض الباحثين بدراسة **تأثير تطبيقات الاتصال الرقمى على تكوين واستدامة الصداقات عبر الثقافية**، حيث التركيز على الدور الذى باتت تلعبه وسائل التواصل الاجتماعي الجديدة، والشائعة عبر الجندر، والفئات العمرية، والأجناس والإثنيات عبر الكوكب، فى تكوين الصداقات خصوصا بين طلاب الجامعات فى ضوء سلم ماسلو للاحتياجات، ونموذج وظيفى لشبكة الصداقة، ونظرية التبادل الاجتماعى. ومن ثم، لم يعد الآخر غريبا؛ بقيمه وثقافته، رغم كونه مغايرا. ليحل التفهم والتسامح والقبول محل الرفض والاستبعاد الاجتماعى والثقافى.
- على جانب آخر، يقترح البعض **استخدام تلك التقنيات الرقمية فى الترسيم الذهنى للطلاب من أجل تحسين العملية التعليمية**، حيث تساعد عملية الترسيم الذهنى فى الوقوف على طبيعة القدرات الذهنية للطلاب، ما بين رياضية وعلمية وأدبية...إلخ، ومن ثم المساعدة فى توجيه هؤلاء الطلاب، علميًا وتربويًا بشكل سليم، بحيث لا يواجهون صعوبات التعلم، وبما يحقق مزيدًا من السرعة والكفاءة، والتطوير المعرفى، والإبداع فى العملية التعليمية.
- وكما تتيح التقنيات الرقمية فرصًا وإيجابيات عديدة للإنسان، فإن لها وجوها أخرى تتسم بالسلبية، لعل من أبرزها ما يرتبط **بالتنمر السيبرى** Cyber bullying **بالمرأة**، أو التنمر الإلكترونى "أونلاين". حيث يشير المصطلح إلى استخدام وسائل التواصل الاجتماعى، أو أياً من المنصات الأخرى عبر شبكة الإنترنت، استخداما يتسبب فى إلحاق الضرر بالآخرين، وهو ما تنامى مع ازدياد أعداد مستخدمى الإنترنت والهواتف النقالة.

وعلى الرغم من غياب التواصل الفيزيقى، فإن التنمر السيبرى قد يتسبب فى نتائج تنعكس سلبا على الضحية، متضمنة التحرش، والشعور بالعار، والاكتئاب، كما وقد يتسبب، فى حالات قصوى، فى الإقدام على الانتحار.

وتعتبر المرأة بمثابة المستهدف الأكبر فى عمليات التنمر السيبرى، ورغم ذلك فإن عديدا من النساء لا يقدمن على إبلاغ السلطات المختصة بهذا التنمر. ومن ثم، فإن من أهم أهداف البحوث والدراسات فى هذا الشأن، التوصل إلى توصيات تتعلق بكيفية تحجيم القيود الاجتماعية والثقافية المفروضة على المرأة؛ كضحية للتنمر، ومساعدتها فى الإبلاغ عما تتعرض له من تنمر سيبرى.

– وإذا ما كان التنمر السيبـــرى يمثل أحـــد المشكلات التى يزخـــر بها الواقـــع المحاكى the virtual reality، فإن التنمر الواقعى لا يزال هو الأصل تحت العنوان الأكبر المتعلق بالعنف ضد المرأة. وإذا ما كانت دفة البحوث الاجتماعية قد مالت بقوة صوب تحولات المجتمع الافتراضى والرقمنة، فإن البحوث الكلاسيكية الراصدة لواقع الحياة اليومية ومشكلاته ما تزال متواجدة وفاعلة. ومن بينها ما يسعى إلى **تفهم العنف تجاه المرأة فى الهند**، حيث التركيز على جذور هذا العنف فى سياقاته الاجتماعية والثقافية ذات الطابع التاريخى، استنادًا إلى تراث أبوى. ورغم تعدد أنماط العنف الممارس فإن الورقة تهتم بالعنف ضد الفتيات المراهقات تحديدًا، والمرتبط بقضايا الشرف. وفى هذا المجال تسعى هذه الدراسة إلى تصميم برامج وسياسات ثقافية وتعليمية من أجل تغيير الصورة النمطية عن المرأة على اعتبار أنها تمثل الحلقة الأضعف اجتماعيًا والتى تتكثف من خلالها كل صنوف التقاليد المتوارثة فى البلدان التقليدية كالهند.

– ويظل المجتمع الهندى حاضرًا بمشكلاته الاجتماعية، حيث تسعى إحدى الأوراق البحثية إلى **تمكين المرأة عبر تجسير الفجوة بين الريف والحضر فى الهند**، وذلك بالتركيز على تكريس مجموعة من القيم الاجتماعية وثيقة الارتباط بالاعتماد على الذات، الاحترام الذاتى والكرامة، الثقة فى النفس، والقدرة على صنع القرار، والقبول داخل الأسرة النووية، وإدراكهن للمساواة القائمة على النوع. هذه القيم التى توصى الدراسة بأن يتم الترويج لها من خلال ورش العمل والسيمنيارات ووسائل التواصل الاجتماعى، وذلك فى الريف والحضر على السواء دون تمييز.

وما سعت إلى تحقيقه الورقة السابقة فى الهند يكاد أن يكون متكررًا فى ورقة أخرى تناقش **قضايا المساواة الجندرية فى ماليزيا**، ودور المرأة ذاتها فى تكريس حالة اللامساواة التى تتعرض

لها جماعات من النساء فى بعض المجتمعات المحلية. وتركز الدراسة على ما تعتبره وعيًا زائفًا بالدونية وعدم الاستحقاق يتم توارثه تاريخيًا عبر التقاليد، والقيم الأسرية، والعائلية، والجهوية.

- على مستوى آخر مغاير نسبيا، تناقش ورقة بحثية تنتمى إلى مجال علم الاجتماع، ما يرتبط **بالمعوقات السوسيو- ثقافية التى تواجه علماء الاجتماع المصريين فى ظل تحول الأنموذج المعرفى المهيمن**، حيث تستهدف الورقة المناقشة النقدية لحالة علم الاجتماع فى مصر The state of the art، بالتركيز على ما قد ينطوى عليه من تمثلات ورواسب تنحو إلى اللاعلمية، تلك التى تحدد شروط وحدود العقل السوسيولوجى من حيث قدرته على الخلق والإبداع، بكل ما ينطوى عليه من مغامرات متطلبة! كيف تلعب هيمنة العقلية النمطية دورًا فى ضعف المحتوى النقدى، سواء على المستوى النظرى أو المنهجى، وذلك عند التعاطى مع القضايا والمعضلات النظرية والواقعية فى المجتمع؟

وقد اعتمدت الورقة البحثية على المساهمات النظرية التى قدمها كل من الفن جولدنر وبيير بورديو بشأن علم الاجتماع الانعكاسى the reflexive sociology. وفى هذا الصدد أرجعت أسباب الأزمة الراهنة فى مجال علم الاجتماع فى مصر إلى: تعاصر العلمى واللاعلمى فى المعرفة، والعبء الاجتماعى- الثقافى الثقيل للتقاليد، والبيئة التعليمية الفقيرة، ونمط التنشئة الأسرية ذى الطابع البطريركى، فضلاً عن الروتين الوظيفى فى المجال الأكاديمى.

وعلى جانب آخر، تقف الرقابة الذاتية على التفكير والإبداع والتى تعارض ولا تقبل منذ البداية بأفكار غير تقليدية ومستجدة تأتى من خارج نطاق البنى التقليدية، الواقعية والعلمية على سواء.

وقد خلصت الورقة إلى ضرورة طرح رؤية علمية اجتماعية- ثقافية بديلة قوامها:

- النقد العلمى الموضوعى لحالة العلوم الاجتماعية الراهنة وفى القلب منها علم الاجتماع.
- الانفتاح على الرؤى والمقاربات النظرية التى تكرس لأنموذج معرفى جديد؛ يضع فى اعتباره نظريات الفوضى والتعقد والمجتمع الشبكى...الخ.
- السعى إلى إعادة تشكيل المنظومة التعليمية اعتمادا على القيم العلمية، والعقلانية، والنقدية، والإبداعية.
- الدعوة إلى مراكمة اجتماعية عادلة على صعيد رأس المال الثقافى.

## وجه آخر للمؤتمر العلمى

لم تقتصر أنشطة المؤتمر على تقديم الأوراق العلمية ومناقشتها باحترام وعمق وثراء، بل تضمنت تلك الأنشطة جانباً آخر يتعلق بالتفاعلات الاجتماعية بين المشاركين الذين ينتمون إلى بلدان عدة تغطى قارات العالم تقريبًا. وهو الأمر الذى أسهم فى تكوين معارف وصداقات جديدة، جنبا إلى جنب فرصا للنشر العلمى الدولى.

وقد كان ملفتًا أن القاعات المخصصة لعرض الأوراق البحثية كانت مشرعة أمام الجمهور العام، من المهتمين بالعلم والمعرفة والثقافة، جنبًا إلى جنب الباحثين من المشاركين فى أعمال المؤتمر. حيث يحضر بعض من العامة الجلسات التى يختارونها، بدعوة كريمة تذيل الملصقات المتواجدة بشكل ظاهر خارج الكلية التى ينعقد بها المؤتمر، والتى تعلن عن المؤتمر وجلساته وموضوعاته.

على جانب آخر، حرصت اللجنة المنظمة للمؤتمر على تخصيص يوم كامل لجولة سياحية جماعية للمشاركين فى المؤتمر فى مدينة كامبريدج بمبانيها العريقة، بوجود مرشدة سياحية، تتقن إلى جانب إنجليزيتها عديدًا من اللغات الأخرى، من بينها العربية!